

أرض فلسطين وشعب فلسطين فليس من امكانية تنازل على الاطلاق وتحت اي ضغط الا ضغط القهر العسكري الذي لا تملك الا الرضوخ اليه .

ان فلسطين — من وجهة النظر الصهيونية — هي النقيض لاسرائيل ، وشعب فلسطين هو الشاهد على هذا التناقض وعلى الجريمة التي خلفها . اذن ، وكما حاولت اسرائيل ، ونجحت الى حد كبير ولدة ١٦ سنة ، من شطب اسم فلسطين عن الخارطة العالمية ، فانها اليوم وبعد حرب ١٩٦٧ وانتصارها فيها ، أكثر تعصبا لاستكمال شطب فلسطين والفلسطينيين معا .

وليس أدل على ذلك من ردود فعل حكام اسرائيل الاخيرة في موضوع « الدولة الفلسطينية » وتلميحات وتصريحات الرئيس التونسي . وباستطاعة اي راغب بالتدقيق أن يعود للصحف والاذاعة الاسرائيلية وما تحفل به من أقوال . وهي ليست مطلقا اقوال مناورة بل هي أقوال يعنيها المسؤولون الاسرائيليون بكل حرف من حروفها .

وفي رأيي ان هذا الحوار التراثي بين تونس وتل ابيب ، وبين تل ابيب وأي فريق آخر — غير فلسطيني — يعود علينا كفلسطينيين أمام الرأي العام العالمي ، ولا سيما بين ذلك الفريق المحايد او اللامبالي بكسب سياسي كبير ، لأنه يكشف لهؤلاء جميعا ، أكثر وأكثر ، حقيقة اسرائيل والصهيونية .

واني من الواثقين بأن اسرائيل ومن يخطط لها ، كانت وراء أكثر من مشروع مماثل [ كمشروع روجرز ومشروع المملكة العربية المتحدة ] قذفت به شركا الينا لنسارع نحن انى رفضه والتنديد به او لئختلف من حوله وننشق شيعا وفرقا دون أن تكون جادة او صادقة في ما تطرح اطلاقا .

نحن ننسى في كثير من الاحيان ان الكرة الارضية قد صغرت بشكل مذهل وان وسائل الاتصال جعلت من الدنيا كلها ساحة واحدة تقريبا . لذلك فكثيرا ما نخاطب العالم وكأننا نخاطب أنفسنا ، تحت وهم الظن بأن الدول والشعوب لا تملك بين يديها من مشاكل سوى قضيتنا .

غير العربي ، في كل مكان بهذه الدنيا ، بل وحتى بعض العرب احيانا ، تحت وطأة ما يعانيه الانسان من مشاكل ذاتية وعمامة لا يستطيع ان يفهم لماذا يرفض الفلسطينيون دولة تقدم اليه على طبق من سلام !!

الصورة لديه هكذا . انه لم يعان ما عانيناه ، ولا يعرف عدونا حقيقة معرفتنا به ، وهو أكثر صلة بأجهزة الاعلام المعادية منه بأجهزتنا الاعلامية ( ان كان لنا أصلا أجهزة ) . لذلك لا بد ونحن نرفض او نقبل او نناقش ان ندرك هذه الحقيقة المرة ، وان نكون بالتالي على مستوى من الذكاء والدهاء في قلبها وتحويلها لصالحنا وصالح الحقيقة الموضوعية والمصلحة الوطنية .

ولنعترف اننا في كثير من المرات وجدنا انفسنا — كتورة فلسطينية — في نفس الموقف مع اسرائيل من هذه القضية أو تلك بالرغم من اننا نقف بالسلاح في الخندق المواجه لهذا العدو التاريخي البشع ، الامر الذي كان يحترق اصدقاؤنا في تفسيره او فهمه .

وكانت تجربتنا مريرة ايام روجرز ومشروعه ، يوم وقع الخلاف بين الثورة وعبد الناصر على جلد الدب والدب يسرح ويمرح بأمان في حديقة البيت الابيض مما مهد للنظام الاردني انسب الشروط لتصفيتنا كما فعل في ايلول ١٩٧٠ .

ولا يجب أن تغيب عن بالنا حقيقة ان اسرائيل ، لا العرب ، هي التي أحببت كل مشاريع الحل السلمي ، وكلما قدم العرب مزيدا من التنازل كانت اسرائيل تقدم مزيدا من مطالب التنازل العربي .